المقتطف

الجزء السادس من المجلد الخامس والثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٧

مذنب هلي

اين الرواية بل اين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرُّصاً واحاديثاً ملفقةً ... ليست بنبع اذا عُدَّت ولا غرب
عجائباً زعموا الايام مجفلةً ... عنهنَّ في صفر الاصفار او رجب
وخوَّفوا الناس من دهياء مظلمة ... لما بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

أيدري قرَّاء هذه الابيات من ايَّة العربية واديائها ان ابا تمام الطائي ناظمها عنى بالكوكب الغربي ذي الذنب مذنَّب هلي بعينهِ الذي انبأتنا الاخبار البرقية انهُ ظهر الآن في السماء . نعم ظهر ولكنهُ لا يزال بعيداً عنا جدًّا لا يرى الاَّ بالتلسكوب وهو مقترب من الارض ومبتعدٌ عنها فسيدنو حتى يرى بالعين في اوائل الربيع المقبل . وقد انبأ علماء الفلك بقدومهِ منذ سنين كثيرة وكانوا يرقبون ظهورهُ في هذا الخريف فظهر كما انبأوا لدقة الحساب الفلكي

اما قولنا ان النجم الذي اشار اليهِ ابو تمام في قصيدتهِ انما هو مذنب هلي فمبني على ان ابا تمام انشأ قصيدتهُ هذه في مدح الخليفة المعتصم على اثر فتح عمورية سنة ٢٢٣ للهجرة ويظهر بالحساب ان مذنب هلي يتم دورتهُ في نحو ٧٦ سنة فيدنو من الارض ويرى كل ٧٦ سنة واذا تقهقرنا بالحساب الى الوراء وجدنا انهُ ظهر سنة ٨٣٢ مسيحية اي سنة ٢٢٢ هجرية . وقد ذكر مؤرخو العرب انهُ ظهر نجم ذو ذنب حينئذٍ ارتاع لهُ الناس قال ابن الاثير في حوادث سنة ٢٢٢ « وفي هذه السنة ظهر عن يسار القبلة كوكب ذنبي يرى نحواً من اربعين ليلة ولهُ شبه الذنب وكان اول ما طلع نحو المغرب ثم رُئي بعد ذلك نحو المشرق وكان طويلاً جدًّا فهال الناس ذلك وعظم عليهم . ذكرهُ ابن ابي اسامة في تاريخهِ وهو من الثقات الاثبات »

ثم ذكر فتح عمورية في حوادث السنة التالية اي سنة ٢٢٣ هجرية فلا شبهة اذاً في ان

النجم ذا المذنب الذي ذكرهُ ابو تمام انما هو مذنب هلي بعينهِ وانهُ ظهر قبيل فتح قلعة عمورية الذي قال فيهِ ابو تمام

فتح تفتّح ابواب السماء لهُ وتبرز الارض في اثوابها القشبِ
يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلاً مشمولة الحلبِ

اول من رصد هذا النجم وعرف سيرهُ والفلك الذي يسير فيهِ المستر ادمند هلي Halley الانكليزي الذي قال فيهِ لالند الفلكي الفرنسوي الشهير انهُ اعظم فلكي انكليزي نشأ في عصرهِ

ولد هلي سنة ١٦٥٦ وعكف على العلوم الرياضية والفلكية ورصد الافلاك بما استطاع اقتناءهُ من آلات الرصد واراد ان يحقق مواقع النجوم الجنوبية فرأى ان يرصدها من جزيرة القديسة هيلانة التي تفي اليها بونابرت بعدئذٍ وكان ابوهُ على شيء من الثروة فاعطاهُ ما يلزم لنفقاتهِ فذهب الى تلك الجزيرة ورصد النجوم الجنوبية ووضع لها زيجاً طبع سنة ١٦٧٩ ووجد ان بعضها تغيّر في اشراقهِ عمّا كان في الازياج السابقة

وكان الناس يجهلون حينئذٍ امر النجوم ذوات الاذناب ويخوّفون منها كما كانوا يخوفون في زمن ابي تمام وقبلهُ وكان الفيلسوف اسحق نيوتن قد اكتشف ناموس الجاذبية وحقق ان الكواكب السيارة خاضعة لهُ وظن ان ذوات الاذناب جارية مجراها والظاهر ان هلي ظن ذلك ايضاً وكان صديقاً لنيوتن فذاكرهُ في هذا الموضوع فاشار عليهِ نيوتن ان يرصد ذوات الاذناب وينظر في رصود غيرهِ فاتم يبني حكمهُ على ما يراهُ

واتفق ان ظهر مذنب كبير في السماء سنة ١٦٨٠ فادهش الناس بسيرهِ وبهائهِ وحركتهِ فانهُ دنا من الشمس بسرعة فائقة حتى غاب عن البصر ثم ظهر ثانيةً وامتدّ منهُ ذنب طويل جدًّا ثم تنقّل في السماء الى ان غاب عن الابصار في اوائل السنة التالية ورآهُ هلي وهو ذاهب الى باريس والتقى هناك بالفلكي كاسيني ورصداهُ كلاهما ورصدهُ نيوتن بنظارتهِ واستنتج ان ذوات الاذناب اجسام مثل السيارات في مادتها وحركتها وان اذنابها بخار لطيف تسببهُ حرارة الشمس حينما تدنو المذنبات منها وحسب فلك هذا المذنب بناء على ما قاسهُ من حركتهِ

وفي الخامس عشر من اغسطس سنة ١٦٨٢ ظهر المذنب الذي نحن في صددهِ الآن وهو مذنب هلي فرصدهُ فمسّيد فلكي المرصد الملكي في جرينتج ورصدهُ هلي ايضاً وظهر لهُ ذنب في السادس والعشرين من الشهر طول ١٢ درجة ورآهُ حينئذٍ فلكيو باريس وجعل

ذنبهُ يطول باقترابهِ من الشمس وتأتّت منهُ ذوّابة اتجهت نحو الشمس وكأنها لقيت فيها ما صدها فعادت الى المذنب

ورصد هلي هذا المذنب كما تقدّم وجمع ارصاد غيرهِ من الفلكيين لكي يستدل بها على الفلك الذي يسير فيهِ حول الشمس اي على شكل فلكهِ ومقدارهِ وسرعة سيرهِ فيهِ حتى يعرف الزمن الذي يلزم لاتمام دورتهِ في فلكهِ وعودهِ الى المكان الذي رُئي فيهِ حينئذٍ . واشار عليهِ نيوتن ان يبحث في التواريخ القديمة عن اوقات ظهور ذوات الاذناب وارصادها ليرى فيها مذنباً يماثل هذا المذنب في شكلهِ ووضعهِ وحركتهِ فوجد ان المذنب الذي ظهر سنة ١٥٣١ والمذنب الذي ظهر سنة ١٦٠٧ يماثلان هذا المذنب من كل الوجوه فحكم ان الثلاثة مذنب واحد وان هذا المذنب يتم دورتهُ في نحو ٧٦ سنة وقدم نتيجة بحثهِ الى الجمعية الملكية سنة ١٧٠٤ في رسالة انبأ فيها برجوع هذا المذنب سنة ١٧٥٨ . وكان عمرهُ حينما انبأ بذلك خمسين سنة فلم يكن ينتظر ان يرى ذلك المذنب ثانيةً فاوصى علماء الفلك ان يرصدوهُ بعدهُ وكرّر عليهم هذه الوصية قبل وفاتهِ

ولما دنا الوقت لظهور هذا المذنب جعل علماء الفلك يعيدون الحساب ويدققون فيهِ . وحساب سير المذنبات من اصعب ما يكون لاسيما اذا أُريد التدقيق في معرفة تأثير السيّارات في سيرها لكن كان بين علماء الفلك حينئذٍ رجلان من اكبر علماء الرياضيات وهما كلرو ولالند فأتمّا حسابهما في اوائل نوفمبر سنة ١٧٥٨ وفي الرابع عشر من ذلك الشهر قدّم كلرو رسالة في هذا الموضوع الى اكادمية العلوم بباريس بيّن فيها ان جذب المشتري سيؤخر رجوع المذنب الى نقطة الراس اي الى اقرب بعدهِ عنا ٥١٨ يوماً وجذب زُحل سيؤخرهُ مئة يوم ولذلك لا ينتظر وصولهُ الى نقطة الراس قبل ١٣ ابريل سنة ١٧٥٩ وقال ان مشاغلهُ الكثيرة جعلتهُ يهمل عوامل اخرى طفيفة قد تغير ميعاد وصولهِ الى نقطة الراس شهراً من الزمان

فظهر المذنب كما انبأ ووصل الى نقطة الراس في ١٢ مارس سنة ١٧٥٩ اي قبل الميعاد بشهر

ومن الغريب ان اول من رأى المذنب في ظهورهِ هذا فلاّح مكسوني كان يرصد الافلاك بنظارة طولها ثماني اقدام وكان ماهراً في صناعة الرصد فرأى نقطة بيضاء في قبة السماء لم يرَها قبلاً فظنّ انها الضالة المنشودة وجعل يرصدها ليلة بعد ليلة وهي تزيد كبراً وجلاءً الى ان تحقق انها مذنب هلي نفسهُ . ولما بلغ علماء الفلك ان فلاحاً رأى المذنب قبلهم اخذ الغيظ من بعضهم فتهكموا عليهِ اولاً ونفوا صحة قولهِ ثم اضطروا ان يسلموا بهِ

وظهر هذا المذنب واضحاً في البلدان الجنوبية فرصدهُ الاب كردو في بونديشري ببلاد

المند وقال انهُ كان في ٣٠ ابريل مثل نجم كبير يحيط به شيء كالضباب ولهُ ذنب طولهُ ٣٠ درجة ورصدهُ المسيو له نو في جزيرة بوربون وقال ان طول ذنبهِ كان ٣ درجات في ٢٩ مارس فبلغ ٤٧ درجة في ٥ مايو ثم رُصد في لسبون وباريس وطولوز

ولما ثبت ان هذا المذنب دوري اي انهُ يعود في زمن معلوم اهتمَّ العلماء بمعرفة تاريخهِ وكان هلي قد حقَّق ازمنة ظهورهِ الماضية الى سنة ١٤٥٦ فحقق المستر رسل هند ازمنة ظهورهِ السابقة وبيَّن ان المذنب الذي ظهر سنة ٨٣٧ مسيحية هو مذنب هلي نفسهُ وهو الذي قلنا ان ابا تمام اشار اليهِ في قصيدتهِ التي مدح بها الخليفة المعتصم . ولقد كان تأثير ظهورهِ في اوربا حينئذٍ اشد من تأثير ظهورهِ في آسيا فان لويس الاول ملك فرنسا ابن شارلمان جزع منهُ جزعاً شديداً واستدعى منجميهِ وطلب منهم ان يخبروهُ عما ينبئُ بهِ . قال رئيس المنجمين في هذا الصدد ما ترجمتهُ

ظهر في السماء نجم يتبعهُ الشؤم دائماً ولما بلغ الامبراطور خبرهُ قلق اشد القلق ولم يهدأ لهُ روع حتى جمع بعض العلماء وانا معهم ولما دخلت سألني بلهفة قائلاً ما معنى هذا النجم وماذا ينبئُ فقلت لهُ امهلني ريثما ارقبهُ واستدلُّ من النجوم على مبناهُ ووعدتهُ بان آتيهُ بالجواب من الغد . فادرك ان ذلك محاولة مني لكي اتبصَّر ولا اقول لهُ شيئاً يغيظهُ وقال لي اصعد على سطح القصر الآن وعد حالاً واخبرني بما رأيت فاني لم ارَ هذا النجم البارحة وانت لم تدلني عليهِ وانا اعلم انهُ مذنَّب فاخبرني عما ينذرني بهِ . ثم قال وهنا امر آخر اراك تخفيهِ عني وهو ان هذا النجم يدل على موت ملك وقيام آخر

ولما رأى المنجمون الحاضرون حكمة الملك الفائقة لم يسعهم الاَّ ان يعترفوا بان النجم المشار اليهِ نذير من الله بتذر باقتراب ايام السوء لكثرة معاصي الشعب . فبادر الملك الى اصلاح سيرتهِ وبناء الكنائس وانشاء الاديرة في كل مملكتهِ تسكيناً لغضب الله

وقد بحث المهندس ديونيس دي سجور في كل الاخبار الواردة في التواريخ عن ظهور هذا المذنب حينئذٍ ولاسيما في الاخبار الصينية فثبت لهُ انهُ مذنب هلي نفسهُ وانهُ بلغ نقطة الراس في ٢٨ فبراير سنة ٨٣٧ وانهُ اقترب من الارض في شهر مارس حتى بقي بينهُ وبينها مليونا ميل فقط وان ذنبهُ طال حتى فاق في طولهِ نصف قبة السماء

ولما ظهر هذا المذنب سنة ١٠٦٦ للميلاد اتفق ان ظهورهُ كان لما فتح وليم الظافر انكلترا فعلَّق الانكليز بهِ ما حزَّ بهم من المحن وقالوا ان نجمهُ كان مثل نجم البدر وان ذنبهُ كان كذنب التنين او كالسيف المسلول وانهُ خرج من فيهِ خطان طويلان من اشعة النور وصل

احدهما الى فرنسا والآخر انقسم سبعة اقسام انتشرت فوق ارلندا

وقد ذكر ابن الاثير ظهور هذا المذنب في حوادث سنة ٤٥٨ هجرية الموافقة لسنة ١٠٦٦ مسيحية قال «في العشر الاولى من جمادى الاولى ظهر كوكب كبير لهُ ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث اذرع وهي ممتدة الى وسط السماء وبقي الى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر ايضاً آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نورهُ عليهِ كالقمر فارتاع الناس وارتجوا . ولما اظلم الليل صار لهُ ذنب نحو الجنوب وبقي عشرة ايام ثم اضمحل» ومعنى قولهِ «غاب» انهُ دنا من الشمس حتى لم يعد يُرى ولما ابعد عنها قليلاً رؤي ثانيةً

وكان لظهور هذا المذنب سنة ١٤٥٦ ميلادية الموافقة لسنة ٨٦٠ هجرية شأن كبير شرقاً وغرباً لان ظهورهُ كان بُعَيْد فتح القسطنطينيةِ وايغال السلطان محمد الفاتح في اوربا وقد ذكرهُ ابن اياس في حوادث سنة ٨٦٠ فقال وفي اثناء هذا الشهر (جمادى الاولى) ظهر في السماء نجم بذنب طويل جدًّا وكان يظهر من جهة الشرق ودام يطلع نحواً من شهرين وكان من نوادر الكواكب فتكلم في ما يدلُّ عليه من الامر وزاد الكلام بسببهِ . ثم اخذق وقام مدة طويلة نحواً من ثلاث سنين حتى وقع بمصر الطاعون والحريق . قال صاحب مرآة الزمان ان اول ما ظهر نجم الذنب عند ما قتل قابيل اخاهُ هابيل وظهر عند وقوع الطوفان وعند وقود نار ابرهيم الخليل وعند هلاك قوم عاد وثمود وعند هلاك فرعون وعند قتل الامام عثمان بن عفان وعند قتل الامام علي وعند قتل جماعة كثيرة من الخلفاء وفي الغالب يحدث عند ظهور نجم الذنب حادث عظيم وقد جُرِّب ذلك وصحَّ من فناء وقتل وقتن وخسف وزلازل وغير ذلك» . انتهى ما ذكرهُ ابن اياس في تاريخهِ ويظهر منهُ ان اهل الشرق كانوا يخافون من ظهور النجم ذي الذنب مثل اهل الغرب وينسبون اليهِ كل ما يصيبهم من الرزايا

اما كُتَّاب الغرب فقالوا انهُ ظهر في ٢٩ مايو وسار في السماء نحو القمر وكان ذنبهُ شبيهٌ بالسيف العثماني وبلغ نقطة الراس في التاسع من شهر يونيو ثم ارتد راجعاً . وزعم بعضهم انهُ كسف القمر فعلاً لشدَّة ضيائهِ . ولكن اتفق ان القمر كُسف حينئذٍ كسوفاً عادياً فحسبوا ان المذنب كسفهُ . وكانت غرَّة جمادى الاولى في ٧ ابريل تلك السنة والظاهر ان ابن اياس اراد جمادى الثانية

وكتب المؤرخ بلاتينا حينئذٍ في كتابهِ الذي طبع في البندقية سنة ١٤٧٩ يقول ظهر

نجم ناري شعري اياماً فقال اهل الحساب انهُ سيظهر ظهورهُ وباءً وقحط ومصائب شديدة فامر (البابا) كالكستوس بالابتهالات لدفع غضب الله ... وامر ان يستجلب رضا الله بالتوسل المستمر ...

وظهر هذا المذنب آخر مرة سنة ١٨٣٤ وبلغ معظم بهائهِ في السنة التالية كما حسب علماء الفلك وقد حسب الكونت دو بونتكولان سنة ١٨٦٤ انهُ سيبلغ نقطة الراس في ظهوره الاخير هذا في الرابع والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٠٠ لكن وقع في حسابهِ بعض الخطإ ورجح المستر كرملين ان المذنب يبلغ نقطة الراس في ١٦ ابريل المقبل ويمر حول الشمس بسرعة ٨٠٠ ميل في الدقيقة ويصير على ١٢ مليون ميل من الارض . واذا اتفق انهُ جذب الارض حينئذٍ جذبةً عنيفة ازاح سكانها من هذا الجهاد الشديد وهذا الطمع الاشعبي وعلَّم اهالي اوربا واهالي اسيا ان الناس كلهم شرع ليس في اصلهم شرف يفاخرون بهِ غير الطين والماء . ولكن هذا الاتفاق بعيد الحدوث جدًّا لا يقع في دورة من مليون دورة فلا وجه للتخوُّف منهُ . ولا يبعد ان تشيع الاوهام والتخرصات على اثر ظهور هذا المذنب كما شاعت في عهد ابي تمام لاسيما وان بعض الجرائد الاوربية ستحفظ ظهورهُ فرصةً لاشاعة الاخبار المدهشة والاراجيف المقلقة . فعسى ان لا تترجم جرائدنا عنها شيئاً من هذا القبيل لان كل ما يقلق البال يؤثر في الصحة وتجرى الاعمال . وحسب الجمهور ان يعلم ان هذه المذنبات نفسها اجسام صغيرة جدًّا في الغالب كالنيازك وان اصطدامها بالارض بعيد الوقوع جدًّا وان اذنابها التي تلاقي الارض احياناً كثيرة لكبرها واتساعها غازات لطيفة لا تؤثر في الارض اقل تأثير

ويظهر من حساب الاستاذ ملوسفش ان هذا المذنب يبلغ نقطة الراس في التاسع عشر من ابريل المقبل ومن حساب الاب سرل مدير مرصد بركلندس انهُ يبلغ نقطة الراس في ١٨٫٦٣ من ابريل اي انهُ يبلغ اقل بعدهِ عن الارض في التاسع عشر من ابريل ويكون بعدهُ حينئذٍ عن الارض نحو ١٣ مليون ميل ورجح ان ذنبهُ يمر الارض في الثامن عشر من شهر مايو . وسيرى في اول العام الجديد في برج الحوت كنجم من نجوم المساء ويعود الى الظهور بين نجوم المساء في شهر مارس وفي شهر مايو ومن المحتمل انهُ يقرب من الشمس حتى يرى وقت كونها في الثامن من شهر مايو المقبل

اما الكلام على المذنبات عموماً وما يراهُ العلماء في سبب وجودها وحقيقة اذنابها فترى فيهِ مقالة مسهبة في جزء يوليو من هذه السنة